بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(٢) لماذا فرض الله تعالى علينا الصيام؟
ومظاهر إكرام الله للصائمين
وواجبات المسلم في هذا الشهر الفضيل

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الصيام قديم:

الصيام كان موجودًا قبل الإسلام، فهو موجود في اليهودية بكيفية معينة، وهو موجود أيضًا في المسيحية بكيفية مختلفة. وفي سورة مريم جاء الصوم بمعنى الامساك عن الكلام، يقول الله تعالى: (فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا) (مريم ٢٦) .

والصيام عرفه العرب في الجاهلية من اليهود في صومهم يوم عاشوراء.

مشروعية الصيام في الإسلام:

أما الصيام في الاسلام فهو ركن أصيل من أركانه الخمسة، التي بُني عليها هذا الدين الحنيف، وهو ثابت بالقرآن والسنة والاجماع.

- **فمن القرآن**، قوله تعالى: (يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلكُمْ تَتقُونَ) (البقرة ١٨٣) ، وقوله عز وجل: (شَهْرُ رَمَضَانَ الذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى للناسِ وَبَيِنَاتٍ منَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدةٌ منْ أَيامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدةَ وَلِتُكَبرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلكُمْ تَشْكُرُونَ) (البقرة ١٨٥).
- **وأما السنة** فقال النبي (ﷺ): (بُنِيَ الإسلامُ على خَمسةٍ شَهادةِ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ وصومِ رمضانَ وحجِّ البيتِ منِ استطاعَ إليهِ سبيلًا) (أخرجه البخاري ومسلم مختصرا، وابن عساكر في معجم الشيوخ واللفظ له).
- كما **أجمعت الأمة** من عهد النبي (ﷺ) إلى عهدنا هذا على فرضية صوم شهر رمضان عبر عصور الإسلام المختلفة إلى يومنا، بحيث لا يجحدها إلا كافر.

مظاهر إكرام الله للصائمين:

أولا: جعل الله (تعالى) للصائم فرحتين.. فرحة صغرى، وفرحة كبرى:

فيتجلى الله على الصائم بفرحتين:

- **فرحة حين يفطر**؛ لأن الله أقدره على أن ينفذ أمره (جلَّ وعلا).
- **وفرحة عند لقاء ربه**؛ لأن في لقاء الله (تعالى) يوم القيامة، الفرحة الكبرى وتشمل حصر كل ما سبق من لحظات السعادة والرضا والفرح التي عاشها الصائم في الدنيا، وفي يوم القيامة تكون أعظم وأبقى.

ثانيا: يتولى الله بكتابة جزاء الصوم بنفسه

يا لها من كرامة كبرى للصائمين أن يتولى الله (تعالى) كتابة جزائهم بنفسه..

قالَ رَسولُ اللَّهِ (ﷺ): قالَ اللَّهُ: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له إلَّا الصَّوْمَ، فإنَّه لي وأنا أجْزِي به، ولَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ) (أخرجه الإمام البخاري في صحيحه) .

للصِّيامِ فضائِلُ عَظيمةٌ، وكَرامةُ اللهِ للصَّائمينَ لا تَنقطِعُ؛ فإنَّهم حَرَمُوا أنْفُسَهم الطَّعامَ والشَّرابَ والشَّهوةَ، فأَعْطاهم اللهُ (سُبحانَه وتعالَى(مِن واسِعِ فضله وكرمه وجوده ومنته ونعمه وعَطائِه، وفضَّلَهم على غَيرِهم.

والله (سبحانه وتعالى) يكتب ثواب الصائم بنفسه ويختص بجزائه لعدة أسباب عظيمة، منها:

١. إخلاص الصيام لله وحده:

- الصيام عبادة لا يطّلع عليها أحد سوى الله، فلا يُظهرها الإنسان كما يظهر باقي العبادات مثل الصلاة والحج والصدقة.
- لا يُمكن للرياء أن يدخل فيه، فهو سرٌّ بين العبد وربه.

٢. جزاء غير محدود:

- الأعمال الصالحة تُضاعف من عشر إلى سبعمئة ضعف، إلا الصيام، فالله يجزي به بغير حساب.
- يدل ذلك على عظمة هذه العبادة وعلوّ مكانتها.

٣. تولي الله لثوابه دليل على شرفه:

- عندما يتولّى الله بنفسه مكافأة عبادةٍ ما، فهذا يدل على أهميتها وشرفها ورفيع قدرها.
- لم يُوكل جزاء الصيام إلى الملائكة، بل احتفظ به ليُجازي به عباده كما يشاء.

٤. الصيام يجمع أنواع الصبر الثلاثة:

الصبر على الطاعة:

- التزام المسلم بأداء الصيام امتثالًا لأمر الله.
- تحمُّل مشقته من جوع وعطش وطول يوم.

الصبر عن المعصية:

- اجتناب المحرّمات مثل الكذب والغيبة وسوء الخلق.
- ضبط النفس وكبح الشهوات والتحكم في الغضب.

الصبر على الأقدار:

- تحمُّل التعب والضعف الذي قد يصاحب الصيام.
- مواجهة العطش والجوع دون تذمر أو شكوى.
- قال الله تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر: ١٠)، مما يربط بين الصيام (القائم على كل أنواع الصبر) والأجر غير المحدود.

وهكذا فكل شيء مقنن له جزاء إلا الصوم فقرار جزائه إلهي؛ لأن نية الإخلاص فيه لا يمكن لأحد أن يراها إلا الله

ثالثا: غفران ما تقدم من ذنوب الصائمين

لماذا عبر النبي (ﷺ) في الحديث التالي بصيغة الماضي (غُفِرَ له) مع أنّ المَغفرةَ تكونَ في المستقبل؟

يقول النبي العظيم (ﷺ) : (مَن صَامَ رَمَضَانَ، إيمَانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ) (أخرجه الإمام البخاري في صحيحه)، ففي هذا الحديثِ بشارةٌ عظيمةٌ مِن النبيِّ (ﷺ) لِمَن وُفِّق لصيامِ شَهرِ رمَضانَ كلِّه عندَ القُدرةِ عليه..

وقوله: "إيمانًا واحتسابًا"، تَصديقًا بالأمْرِ به، عالِمًا بوُجوبِه، خائِفًا مِن عِقابِ تَرْكِه، مُحتسِبًا جَزيلَ الأجْرِ في صَومِه، فإنَّ المَرْجُوَّ مِن اللهِ (سبحانه وتعالى) أنْ يَغفِرَ له ما تقدَّمَ مِن ذُنوبِه السَّابقةِ، غيرَ الحُقوقِ الآدميَّةِ المتعلِّقةِ بأموالِهم أو أعراضِهم أو أبدانِهم؛ فهذه لا تَسقُطُ إلَّا برِضاهُم؛ فعلَى الإنسانِ أنْ يَطْلُبَ المسامحةَ ممَّن له عليه حقٌّ، أو يُؤدِّيَ الحقوقَ إلى أهلِها.

وقد وقَعَ الجزاءُ هنا بصِيغةِ الماضي «غُفِرَ» مع أنَّ المَغفرةَ تكونُ في المستقبَلِ؛ للإشعارِ بأنَّه مُتيقَّنُ الوقوعِ، مُتحقِّقُ الثُّبوتِ، فضْلًا مِن اللهِ تعالَى على عِبادِه [١].

رابعا: استطابة رائحة فم الصائم

ويجب أن نعلم أن المقاييس بالنسبة لله (تعالى) غير مقاييس البشر، اسمع معي إلى قول المصطفى (ﷺ): (...ولَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ)؛ فالرائحة المتغيرة تنفر منها النفس البشرية، وهنا ينقلها الله (سبحانه وتعالى) من شيء تنفر منه النفس إلا شيء تستطيبه ويا له من إكرام بعد إكرام من الله..

خامسا: خصص الله تعالى بابا للصائمين فقط

فالصائم له بابٌ خاص (special) خصصه الله (تعالى) له في الجنة يُسمى الريّان لا يدخله إلا الصائمون.

لماذا سن الله لنا القيام؟:

كما سنَّ الله (تعالى) لنا سنة القيام يقول نبينا (ﷺ) : (مَن قَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ) (أخرجه الإمام البخاري في صحيحه)؛ لكي يظلَّ المسلم في معية الله طوال اليوم والليلة...

فصم أخي الحبيب يوما شديد الحرارة لحر يوم النشور، وصلى في ظلمة الليل البهيم ...

وفرصة أن ننير بيوتنا وقلوبنا، ووجداننا وحياتنا، وقبورنا بقيام الليل، يقول الحق سبحانه وتعالى: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (الذاريات : ١٧-١٨) ويقول سبحانه: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة : ١٦)

شرف المؤمن في قيام الليل:

وعلينا أن نعلم أن شرف المؤمن في قيامه ليله بين يدي الله، ففي سكون الليل، حيث تخلو القلوب من الشواغل، وترتقي الأرواح إلى معارج القرب، يكون العبد أقرب ما يكون إلى مولاه.

وفي ظل التحديات الجسام التي تواجه أمتنا المسلمة، فلا بد لنا من العودة الصادقة إلى الله (سبحانه وتعالى)، والتمسك بحبله المتين، فالتقرب إلى الله لا يكون بالعبادات الظاهرة فقط، بل بالعبادات في الخفاء وفي الخلاوات، ولا يكون بالعبادات الشعائرية فحسب كالصلاة والصيام، بل يشمل أيضًا العبادات التعاملية، من الصدق في المعاملات، وأداء الأمانات، وبذل المعروف، ونصرة الحق، والسعي في مصالح العباد .

ومن أعظم ما يعين على ذلك: قيامُ الليل والتهجد، فقد كان دأب الصالحين، وسر قوة المتقين، ووصية النبي الأمين (ﷺ) فعن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (عليكم بقِيامِ اللَّيلِ؛ فإنَّهُ

(١) لمزيد من المعلومات: dorar.net/hadith/sharh/٢٦٤٣

دَأَبُ الصَّالِحِين قَبْلَكُم، وهو قُربةٌ لكم إلى رَبِّكُم، ومُكَفِّرٌ لِلسَّيِّئاتِ، ومَنهاةٌ عنِ الإثمِ) (أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وهو صحيح على شرط البخاري) .

فهيا بنا نسير في طريق الله، ونمد أيدينا إليه، ونطرق أبوابه في الأسحار، ونناجيه بصدقٍ في الأسفار، ونرجوه أن يكشف لنا الأسرار، عسى أن يفتح لنا من خزائن رحمته، ويرفع عن أمتنا البلاء، ويهدينا سواء السبيل.

واجبات المسلم في رمضان:

أبرز الواجبات التي ينبغي على المسلم الحرص عليها في رمضان لنيل الأجر والثواب

١. الصيام: الامتناع عن المفطرات والشهوات من الفجر إلى المغرب بنية التعبد لله.
٢. المحافظة على الصلوات: أداء الصلوات الخمس في وقتها مع الخشوع.
٣. قراءة القرآن: الإكثار من تلاوة القرآن وتدبر معانيه والعمل به، ونشره.
٤. الإكثار من الذكر والدعاء والاستغفار والصلاة على النبي(ﷺ): وخاصة عند الإفطار وفي السحر.
٥. الاجتهاد في قيام الليل: أداء صلاة التراويح والتهجد.
٦. الزكاة والصدقة: إخراج الزكاة والإكثار من الصدقات لمساعدة المحتاجين.
٧. حُسن الخلق: التحلي بالصبر، والتسامح، وكف الأذى عن الناس.
٨. اجتناب المعاصي: الابتعاد عن الكذب، الغيبة، والنظر المحرم.
٩. الاعتكاف في العشر الأواخر: لمن استطاع، تقربًا لله وطلبًا لليلة القدر.
١٠. إطعام الصائمين: الإسهام في إفطار الصائمين إن أمكن.

والتدريب على ذلك حتى نخرج من رمضان نسخة جديدة وفريدة في إخلاصنا المستدام مع الله (سبحانه وتعالى).

***

فاللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا الصِّيَامَ وَالقِيَامَ وَصَالِحَ الأَعْمَالِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ... اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَهْلِيكُمْ وَأَنْجَالِكُمْ وَأَحْفَادِكُمْ وَذَرَارِيكُمْ أَجْمَعِينَ الفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالحُبُورَ، وَالسَّعَادَةَ العَامَّةَ التَّامَّةَ الكَامِلَةَ الشَّامِلَةَ الدَّائِمَةَ المُسْتَقِرَّةَ المُسْتَمِرَّةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ... نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ لَنَا وَلِأَوْلَادِنَا، وَلِمُجْتَمَعِنَا وَلِشَعْبِنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ مِصْرَ شَرْقَهَا وَغَرْبَهَا، شِمَالَهَا وَجَنوبَهَا، طُولَهَا وَعَرْضَهَا وَعُمْقَهَا، بِحارَهَا وَسَمَاءَهَا وَنِيلَهَا، وَوَفِّقْ يا رَبَّنا قِيادَتَهَا وَجَيْشَهَا وَأَمْنَهَا وَأَزْهَرَهَا الشَّرِيفَ، وَعُلَمَاءَهَا، وَاحْفَظْ شَعْبَهَا، وَبِلادَ المُحِبِّينَ يا رَبَّ العالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ على سَيِّدِنا وَمَوْلانا مُحَمَّدٍ، وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

خادم الجناب النبوي

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها: (الدكتور أحمد علي سليمان)؛ يضمن لك كل جديد https: //www.facebook.com/drahmedalisoliman/